اللسانيــات والشعــر
حوار مع الدكتور مازن الوعر*

حاوره:
خالد الأنشاصي

تقديم

في حوار مع أستاذ اللسانيات الحديثة في جامعة أم القرى **الدكتور مازن الوعر:**

- حداثة أدونيس فوضوية لأنه لم يغص في أعماق التراث العربي ولا العالمي أيضاً.

- محمود درويش حالة فريدة في الوطن العربي وما قدمه يرقى إلى مفهوم القصيدة العربية من حيث المضمون لا الشكل.

- كل عربي يحس بأن الذي فعله نزار قباني جزء لا يتجزأ منه، لأنه لم يأت بالحداثة من فراغ، ولا من المبادئ الحداثية الغربية المجردة من مضامينها.

- الحداثة في العالم العربي فوضوية لأنها نشأت من فراغ ولم تأخذ بالحسبان ما فعله العرب القدماء وما فعلته التراثات العالمية الأخرى

- أصحــاب الشعر التفعيلي أخذوا من أوزان الخليل ما يتلاءم وإمكاناتهم الشعرية المتواضعة وسموا تصويرهم للواقع بلعبة اللغة شعراً حرّاً.

- نحن لا نرفض قصيدة النثر، ولكننا لا نعتبرها شعراً أو قصيدة، وإنما هي كلام أدبي يصور الواقع بلعبة اللغة، وليس بلعبة الشعر.

- لا بد أن نستعين بالأدوات العلمية الموجودة في العلوم الطبيعية لكي تصبح جزءاً لا يتجزأ من المنهج العلمي لدراسة اللغة.

---

* الدكتور مازن الوعر: أستاذ اللسانيات الحديثة بقسم الدراسات العليا– كلية اللغة العربية جامعة أم القرى– مكة المكرمة.

خ - أ: حدثنا أولاً عن اللسانيات: موضوعها وغايتها ؟

م - و: اللسانيات مصطلح أتى من "اللسان" واللسان يعني اللغة فأضفنا الياء والألف والتاء، فأصبح علماً يبحث في اللسان أي في اللغة، فإذن: اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية، من خلال لغة كل قوم من الأقوام. وعندما نقول علمية: فإننا نعني بها الملاحظة، ووضع الفرضيات وفحصها، والتجريب والدقة والشمولية والموضوعية. وهذه الخصائص هي التي تميز الدراسة اللغوية الحديثة عن الدراسة اللغوية القديمة.

لنأخذ مثلا على ذلك معيار التجريب: فهذا المعيار هو من الخصائص العلمية لدراسة اللغات البشرية وبمعنى آخر: عندما نريد أن نفحص صوتاً من أصوات اللغة فإننا نخضعه للآلة (الأوسيلوجراف) على سبيل المثال، من أجل أن يعطينا وصفاً لهذا الصوت وشبحيته وذبذباته وموجاته، بدقة متناهية ذلك لأنه يعطي آثاراً كتابية تمثل السلاسل المنطوقة التي نختبرها. هذه الآثار تتكون من عدد كبير من الذبذبات الصغيرة والتي لا يتطابق اثنان منها كل التطابق. فمن الصعوبة بمكان أن تجد أصواتاً من سلسلة منطوقة تظل فيها طبيعة الصوت، وشدته، ودرجته، وطوله، وقصره على شكل واحد. وهذا يختلف عن الدراسة اللغوية القديمة التي كانت تعتمد على الحدس الإنساني فقط.

لنأخذ مثالاً آخر: في القديم لم يكن هناك آلة تسمى الحاسوب ولم يكن هناك دراسة لغوية تتناول اللغات البشرية وتعالجها حاسوبياً، ولكن يوجد ما يسمى اليوم باللسانيات الحاسوبية المعلوماتية التي تدرس اللغات البشرية دراسة علمية وتقنية، من منظور الحاسوب. فإذن: لا بد من دراسة اللغة البشرية دراسة علمية موضوعية مضبوطة ودقيقة حتى تكون النتائج صحيحة.

لابد من أجل دراسة اللغة من هذا المنظور (الحاسوب) أن نستعين بالأدوات العلمية الموجودة في العلوم الطبيعية لكي تصبح جزءاً لا يتجزأ من المنهج العلمي لدراسة اللغة، ومن هذه الأدوات على سبيل المثال: الرياضيات، والهندسة الإلكترونية، والمعلوماتية، وهندسة الحاسوب. فلكي ندخل اللغة في الحاسوب لا بد من دراستها رياضياً، وهندسياً، ومعلوماتياً. و هذا يعني أن ندرس اللغة العربية ونستخرج قواعدها استخراجا علميا دقيقا على المستوى الصوتي والنحوي، والدلالي، والمعجمي، من أجل أن نضع هذه القواعد في أطر رياضية تتناسب وهندسة الحاسوب من أجل أن يأخذها المعلوماتي (المبرمج)، ويبرمجها في الحاسوب.

خ - أ: ما الهدف من وراء هذا العمل ؟

م - و: الهدف هو السرعة والدقة العلمية ثم الحصول على الترجمات الآلية من اللغة العربية وإليها، والتصنيف اللغوي القائم على نحوٍ علمي، وسريع جداً، يتماشى والتطورات العلمية الحديثة.

أما موضوع اللسانيات فهو اللغات البشرية من خلال لغة كل قوم من الأقوام؛ أي أن ندرس لغة كل قوم من الأقوام دراسة صوتية، ونحوية، ودلالية، ومعجمية، وصرفية، ثم دراسة علاقة هذه اللغات بالعلوم المعرفية الأخرى التي ترتبط بها؛ كعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا، وعلم

النفس، وعلم البيولوجيا، والفلسفة، والجغرافيا، والهندسة الحاسوبية، والرياضيات. فكل هذه العلوم لها علاقة باللغة.

لنأخذ مثالاً بسيطاً على علاقة اللغة بالبيولوجيا: اللسانيات تطرح اليوم إشكالية صعبة تتمثل في هذا السؤال: هل اللغة عضو بيولوجي كبقية الأعضاء البيولوجية الموجودة عند الإنسان ينمو ويتطور عبر الزمن كما يتطور الجهاز البيولوجي؟ أم أنها شيء خارجي عن الإنسان يتلقفه الطفل تلقفاً من المجتمع؟. هذه إشكالية عويصة حيرت الباحثين، ولكن أغلبهم توصل بعد إقامة تجارب علمية كثيرة إلى أن اللغة عضو بيولوجي يخلق مع الطفل وينمو ويتطور تطوراً طبيعياً.

ومن الظواهر التي تبحثها اللسانيات البيولوجية العلاقة بين الأمراض اللغوية، والجهاز اللغوي الموجود في الدماغ البشري؟ ما هي البنية الإدراكية اللغوية الموجودة في دماغ الإنسان بالمقارنة مع البنية الإدراكية الموجودة عند أذكى الحيوانات كالشنبانزي مثلاً ؟

لنأخذ مثالا آخر على علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى: ما هي العلاقة بين اللغة والمجتمع ؟ وكيف تكون اللغة منطوقة؟ وكيف يمثلها النظام الكتابي ؟

فكما هو معروف فإن اللغة المنطوقة ليس لها معيار واحد على الإطلاق لذلك كان هناك ما يسمى باللهجات المختلفة، وكان هناك ما يسمى بالشعر الذي يكتب بمعيار معين، وكان هناك اللغة العامية الشعبية، واللغة المعيارية الموحدة، ولغات المهن المختلفة ... الخ.

خ - أ: وهل معيار اللغة العامية الشعبية يعتبر معياراً فصيحاً؟.

م - و: اللسانيات الاجتماعية تنظر إلى معيار اللغة العامية الشعبية على أنه أسلوب لغوي معين من ضمن أساليب لغوية متنوعة ومختلفة تعمل ضمن اللغة الواحدة. هناك مثلاً دراسة حديثة جداً تبحث في الألفاظ والمفردات العامية الشعبية الموجودة في شعر الأمير خالد الفيصل، وهي تريد أن تبين مدى العلاقة القائمة بين الألفاظ العامية (النبطية) وبين الألفاظ العربية الفصحى، هذه الدراسة يقوم بها طالب في جامعة الكويت، وهي دراسة لسانية حديثة تدخل في إطار الدراسات الاجتماعية المعجمية. وهذا مثال واضح آخر على العلاقة القائمة بين المجتمع واللغة والتي تبحثها اللسانيات الاجتماعية.

أما الهدف الأول والأخير من دراسة اللسانيات للغات البشرية فهو معرفة سر حركة (المعرفة اللغوية) الموجودة في الدماغ البشري، كما يقول تشومسكي، أو معرفة (سر آلة الكلام) كما يقول الجاحظ. وبما أن اللغة موضوع غير مرئي بعلاقاته المتشابكة فإن العلماء يسعون لمعرفته مما يمكن رؤيته وإحساسه ومعرفته من خلال اللغة المنطوقة فعلياً، والممثلة بهذا النظام الكتابي.

خ - أ: هل هناك علاقة بين اللسانيات الحديثة والركام المعرفي اللغوي التراثي العربي القديم ؟

م - و: بالطبع توجد هذه العلاقة، لا بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة فحسب، وإنما بين كل التراثات العالمية، واللسانيات الحديثة، لأنه لا يمكن للسانيات أن تكون علماً قائماً برأسه له استقلاليته وعلميته وشرعيته ما لم يستند إلى التراث اللغوي العربي، بل العالمي.

علماء اللسانيات الغربيّون كانوا قد درسوا ما كتب قديماً عن اللغات البشرية عند جميع الأمم السابقة، ومنها الأمة العربية الإسلامية، وقد استفادوا استفادات كثيرة من هذه الأمم، وبالأخص من التراث اللغوي العربي القديم؛ لأن هذا التراث يتميز بالدقة والشمولية والعالمية، فعندما عالج العلماء المسلمون اللغة العربية لم يكن في فكرهم الإنسان العربي المسلم فحسب، وإنما كان في ذهنهم مكانة اللغة العربية في هذا الكون الشامل الذي يضم (الإنسان)؛ فأرادوا دراسة الإنسان من خلال هذه اللغة العربية الشريفة، لذلك كانت نظرتهم إليها نظرة إنسانية لا قومية. من هنا نراهم يمنعون ترجمة القرآن من العربية إلى اللغات الأخرى في المراحل الأولى للترجمة؛ لأن كل إنسان كان يجب أن يتعلم اللغة العربية لكي يكون مسلماً.

وقد اعترف بهذه الخصائص الدرسية للتراث اللغوي العربي علماء غربيون منصفون أمثال عالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي من خلال حوار كنت قد أجريته معه، ونُشر بالعربية، والإنجليزية، والفرنسية في مجلة "اللسانيات" الصادرة عن معهد الصوتيات واللسانيات التابع لجامعة الجزائر – المجلد رقم 6 لعام 1982م. وقد قال بالحرف الواحد بأنه تأثر بالتراث العربي القديم عندما وضع نظريته في النحو التوليدي والتحويلي، ولاسيما في كتابه "البنية المنطقية للنظرية اللسانية".

إذن، العلاقة بين العلم الحديث للظاهرة الفيزيائية، والعلم القديم لنفس الظاهرة الفيزيائية حتمية علمية لا يمكن الاستغناء عنها في تاريخ التطور العلمي، وبناء الثورات العلمية، كما يذهب إلى ذلك المفكر الغربي توماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية"، وكذلك جي وودغر في كتابه "بناء النظريات الفيزيائية".

خ - أ: إذن الحداثة بمفهومها لا تنقطع كلية عن التراث ؟

م - و: هذا صحيح ومعافى عند الغرب، أما عندنا فالحداثة هي حداثة فوضوية، لأنها نشأت من فراغ، ولم تأخذ بالحسبان ما فعله العرب القدماء، وما فعلته التراثات العالمية الأخرى.

من هنا يأتي الصراع الحاد بين الماضويين والحداثيين، فالماضويون لا يتطلعون إلى الأمام ولا يريدون أن يطوروا علماً جديداً لمعطيات جديدة، والحداثيون لا يريدون أن يؤسسوا نظريات حديثة مبنية على تراثات قديمة، وهكذا فإن خطيئة الأمة المعرفية لا تأتي من الحداثيين فحسب وإنما تأتي من التراثيين أيضاً.

خ - أ: هناك من يدعو من الحداثيين إلى البدء من الكلمة، ومن ثم لم يعيروا التراث أدنى اهتمام بحجة أنهم يريدون أن يبنوا تراثهم الخاص، فما قولك؟

م - و: في تاريخ العلم لا يمكن البدء من فراغ. لا بد من الاستناد إلى ما وصل إليه السابقون إذا أردنا للعلم أن يكون شرعياً. خذ على سبيل المثال أدونيس. إن كل حداثة أدونيس هي حداثة فوضوية، لأنها ليست جزءاً من الأمة، وإنما هي جسم غريب عليها، فهو لم يغص في أعماق التراث العربي القديم ولا التراث العالمي أيضاً فحداثته جاءت في صحراء، لا أحد يفهم أدونيس ولم تقدم حداثته أي تطوير أو حتى بديل لتراث الأمة الشعري والفكري.

وفي الجهة المقابلة فإننا نرى شاعراً مثل نزار قباني ينطلق من خلفية ومنظومة فكرية راسخة. فكل إنسان عربي يحس بأن الذي فعله هو جزء لا يتجزأ منه، لأنه لم يأت بالحداثة من فراغ، ولم يأت بمبادئ حداثية غربية مجردة من مضامينها، وإنما جاء بحداثة مبنية على تراث معرفي شعري عربي قديم، ومن تراث شعري عالمي أيضاً. من هنا كان شعره يعبّر عن ضمير الأمة، ويتفاعل معها؛ لذلك اهتم الشعراء، والمفكرون، والسياسيون، والموسيقيون، والملحنون، والمغنون بهذا الشعر.

خ - أ: وماذا عن شعراء قصيدة النثر ؟

م - و: بعض أصحاب قصيدة النثر يقول بأن معطيات العصر لم تستطع القصيدة العربية القديمة أن تتحملها، فلذلك تفجرت هذه القصيدة لتصبح متناثرة لتتشكل تحت ما يسمى بقصيدة النثر. نحن لا نرفض قصيدة النثر، ولكننا لا نعتبرها شعراً أو قصيدة، وإنما هي كلام أدبي يصور الواقع بلعبة اللغة، وليس بلعبة الشعر.

خ - أ: وماذا عن أصحاب الشعر التفعيلي ؟

م - و: أصحاب الشعر التفعيلي أخذوا من أوزان الخليل ما يتناسب وإمكاناتهم الشعرية المتواضعة، وسموا تصويرهم للواقع شعراً حراً. وأيضا نحن لا نرفض الشعر الحر، لأنه يصور الواقع بلعبة اللغة تصويرا جميلاً، ولكنه لا يرقى إلى مفهوم القصيدة التي هي عند العرب تقنية معينة تحتاج إلى موهبة ثاقبة ومعرفة شاملة، ومران وممارسة، ومعرفة بما كان يسمونه العرب القدماء بعلم الأدب.

خ - أ: كأنك تعيدنا إلى مقولة: "الشعر هو الكلام الموزون المقفى"، وهو ما لا يتفق مع الذائقة الشعرية، ولا مع الدرس النقدي الحديث؟

م - و: الاختلاف في الأساس اختلاف معرفي، واختلاف في معرفة لعبة الشعر، فالشاعر القديم يعرف كيف يلعب لعبة اللغة، ولعبة الشعر معرفة تامة، حتى إن المفاهيم الموجودة الآن في النقد الحديث كمفهوم التناص، ومفهوم الانزياح والالتفات، ومفهوم (ما فوق اللغة) ... الخ موجودة عند الشاعر القديم في قصيدته ولكنها مفقودة عند الشاعر الحر.

وهل تعتقد أن الإنسان المستلقي على سريره والذي تمر عليه بعض الأفكار، ويقوم ليسجلها بتفعيلة من تفعيلات الخليل. هل يمكن أن يسمى هذا شعراً ؟

خ - أ: وهل يعقل أن يستحضر الشاعر التقليدي أو المحافظ مجموعة من القوافي ثم يستلقي أيضاً على سريره فيصوغ أو يصنع أبياتاً، هل يعقل أن تسمى هذه الصناعة شعراً ؟

م - و: نعم أنا أوافقك، هذا ليس بشعر. وكما أن هناك شعراً سخيفاً مصاغاً صياغة قديمة لا يستحق القراءة هناك شعر رفيع جداً يسبق التاريخ في رؤيته، وفلسفته الشعرية، كما أن هناك رؤى أدبية ثاقبة في الشعر الحر تستحق أن يقف عليها الناقد والمفكر، والمثقف، والأديب. هذه الظاهرة موجودة في كل زمان ومكان. ولكن الشعر الحر في محصلته الإبداعية، والفلسفية لا يرتقي إلى مفهوم القصيدة العربية بمعناها الواسع، وأعني بمفهوم القصيدة رؤية الواقع على نحو مختلف وتشخيص مختلف وحل لهذا الواقع مستخدماً لعبة اللغة ولعبة الشعر والتي يستخدم فيها

الشاعر كل الأدوات الفنية والتقنية، وكل المعارف الانسانية (الدينية، والتاريخية، والنفسية، والاجتماعية، والجغرافية ... الخ)، ومن ثم يضعها في إطار فلسفي يفسر حركة التاريخ، وحركة ما بعد التاريخ.

لنأخذ هذا المثال لمالك بن الريب يرثي نفسه:

ألا ليــت شــعري هل أبيــتنَّ ليلــة　　بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا
وليت الغضا لم يقطع الركب عرضه　　وليت الغضا ماشى الركاب لياليــا
لقد كان في وادي الغضا لو دنا الغضا　　مزار ولكــن الغضـــا ليس دانيــا
ألم ترني بعــت الضـــلالة ... بالهدى　　وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا

الشاعر هنا يتمنى ألا يكون الركب (الجيش) قد مر بجانبه وأخذه معه من أجل أن يحارب في خراسان، وإنما كان يتمنى أن يبقى في هذا الوادي من أجل أن يرى هذه النوق ويرعاها وهو مسرور، وطالما أنه أسلم وتعاقد مع سعيد بن عثمان بن عفان الذي خصص له راتبا معينا، فإنه يعزي نفسه بأنه يتمنى من الوادي أن يصبح إنسانا ويماشي الركب الذي هو فيه. لقد كرر لفظة (الغضا) ست مرات، لما لهذا المكان من علاقة نفسية واجتماعية وتاريخية وأنثروبولوجية مع مالك ابن الريب.

إن بيت الشعر في القصيدة العربية يمثل قصة كاملة ذات أبعاد نفسية، واجتماعية، واقتصادية، ودينية، وجغرافية، وكلها تعمل في بعضها بعضاً لتشكل هذا التناص بالمفهوم النقدي الحديث، والذي يولد بدوره ما يسمى بالنص الشعري أو "القصيدة العربية".

خ - أ: ولكن هل معنى ذلك أن ما كتبه محمود درويش مثلا هو شعر لا يرقى إلى مستوى القصيدة ؟

م - و: هناك حالات شاذة، محمود درويش يمثل حالة فردية وخاصة، فريدة من نوعها في الوطن العربي، بحيث إن ما قدمه محمود درويش يرقى إلى مفهوم القصيدة العربية من حيث المضامين (لعبة الشعر)، ولكن ليس من حيث الشكل الذي يدخل أعماق النفس العربية ليتفاعل معها تفاعلا كلياً ومؤثراً جداً. محمود درويش يعرف كيف يلعب بالمعاني، والدلالات العميقة لتصبح في نهاية الأمر رؤية مستقبلية، وفلسفة شعرية.

خ - أ: ولكن هناك أسماء أخرى كبيرة على الساحة العربية من أمثال أحمد عبد المعطي حجازي، وإبراهيم أبو سنة، ومحمد عفيفي مطر وحسن طلب ورفعت سلام وحلمي سالم، وقاسم حداد وغيرهم، فكل من هؤلاء يمثل الشكل الجديد في القصيدة العربية. إن لديهم عاملاً مؤثراً في صياغة المعنى عبر الشكل ؟

م - و: لا أستطيع أن أعلق على شعر هؤلاء وأمثالهم، ولكن علينا أن نضع الشعراء في سياق ما قلته سابقا. على كل حال الزمن كفيل بفرز الرؤية الشعرية الثاقبة سواء أكانت موضوعة في شكل (قصيدة) بمعناها الواسع أو في شكل "قصيدة النثر" أو "الشعر الحر". مرة أخرى أقول إن ما أقصده بالرؤية الشعرية الثاقبة أن يصور الشعر الواقع، ويتجاوزه لما هو

أفضل في حركة التاريخ. إن تصوير الواقع وتجاوزه لما هو أفضل ينبغي أن يوضع في إطار فلسفي عميق؛ وبكلمة دقيقة: إن هذا الشعر الذي ندعو إليه ينبغي أن يكون أكثر فلسفة من التاريخ، وهذا ما تمثله القصيدة العربية الأصيلة الناضجة بالمفهوم الواسع.

خ - أ: وهل الرؤية الشعرية الثاقبة التي يتميز بها هؤلاء الشعراء والتي من خلالها نحكم على ارتقاء الشعر إلى مفهوم القصيدة، أو عدم ارتقائه هي التي تتبني عليها رؤيتك للشعر؟ وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يضيفه الشكل التقليدي للقصيدة العربية لكي يميزها كل هذا التميز؟

م - و: هناك خاصتان أساسيتان ينبغي أن تتمتع بهما القصيدة بمفهومها الواسع:

الأولى: هي المخزون المعرفي الابستيمولوجي بشكله الجمالي الموجود في القصيدة، والذي يمثل إلى حد ما، ما كان يسميه العرب القدماء ديوان العرب. وبكلمة أخرى هذا المخزون يمثل المعرفة النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفلسفية، والجغرافية...الخ والتي تؤطر وتصاغ بجماليات اللغة، وتقنياتها. وبهذا تكون القصيدة مرجعا أساسياً للباحثين في هذه المعارف.

الثانية: أن هذا المخزون المعرفي الشعري الجمالي ينبغي أن يُشحذ بالفلسفة؛ أي أن يكون ذا بعد فلسفي يفسر الواقع من جهة، ويتجاوزه من جهة أخرى.

خ - أ: وهل هذا المخزون المعرفي الجمالي كان يفتقر إليه مثلاً صلاح عبد الصبور والبياتي والسياب، وغيرهم من الأسماء الكبيرة التي أسست لحركة الشعر العربي الجديد؟

م - و: لا تنس أن المخزون المعرفي الجمالي الشعري للقصيدة العربية يتفاوت في نسبه وفي خطه البياني. فلا نستطيع أن نرفض شعر هؤلاء الشعراء بحجة عدم توفر المخزون المعرفي الجمالي، نحن نتكلم هنا عن نسب متفاوتة حول مفهوم القصيدة العربية، تلك النسب التي تراعي الجوانب اللغوية، والأسلوبية، والجمالية، والموسيقية، والدلالية، والكونية...الخ. فأنا عندما أقرأ بعضاً من شعر نزار قباني فإني أشعر بأن المخزون المعرفي الجمالي نسبته مرتفعة تماما بحيث أن هذه النسبة تحرك كل شيء فـــيَّ كإنسان عربي، ولكن عندما أقرأ لأدونيس مثلا، فعلى الرغم من أن هناك مخزوناً معرفياً، إلا أن نسبته ضئيلة لا تحركني، ولا تجعلني أنفعل معه كإنسان عربي. فأنا كقارئ أمام موقفين: موقف يرهصني فأتفاعل معه، وموقف آخر لا يحرك في إلا القليل فأحسه غريباً عليّ.

خ - أ: دعني أعود مرة أخرى إلى علم اللسانيات لأقول: هناك كثيرون من الذين لا يعرفون هذا العلم، وإذا عرفوه من باب الفضول فإنهم يشككون في الانتفاع به في حقل المعرفة اللغوية العربية؟.

م - و: اللسانيات كما قلت سابقا علم يتسم بسمتين اثنتين:

الأولى: هي العلمية، أي إن لهذا العلم كما كان يقول علماؤنا وفلاسفتنا القدماء حداً وموضوعاً وغاية.

الثانية: هي الاستقلالية، أي إن هذا العلم مستقل عن بقية العلوم الأخرى له مقاييسه وموازينه وقوانينه الخاصة به.

هذا العلم استفاد منه الغرب المعاصر كثيرا سواء أكان ذلك على مستوى العلوم الانسانية، أم العلوم الطبيعية. فقد استفاد منه الغرب في المجال التربوي: كيف تعلم اللغة القومية لأبنائها تعليما صحيحا وسليما وبأنجع الطرق؟ وكيف تعلم هذه اللغة القومية لغير أبنائها على نحو سريع وناجع ؟

وقد استفاد الغرب من هذا العلم في الجانب الحاسوبي المعلوماتي، لذلك درسوا لغاتهم دراسات علمية ودقيقة، وحاولوا وضعها في أطر رياضية من أجل الترجمات الآلية، وما مشروع وضع لغات دول الإتحاد الأوروبي وبرمجتها في الحاسوب إلا دليل على هذا الذي نقوله، ففي كل دولة أوروبية يستطيع الإنسان أن يحول النص المكتوب بلغة من اللغات الأوروبية إلى لغته القومية، من خلال الحاسوبية الآلية.

كما استفاد الغرب من علم اللسانيات في الجانب الاجتماعي، فلذلك درسوا لغاتهم من منظار علم الاجتماع، ففرقوا بين اللغة المنطوقة، واللغة المكتوبة وأين تقف اللهجات من هاتين اللغتين.

كما أنهم وضعوا أطالس لغوية جغرافية لكل منطقة من المناطق التي يسكنها الناس، أضف إلى ذلك أنهم بدؤوا يدرسون الفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال: ما هي البنية اللغوية لرواية من الروايات النسائية مثلا وكيف تختلف هذه البنية اللغوية عن رواية من الروايات الذكورية، هذا طبعا يفيد المفهوم النقدي الحديث والمعبر عنه بـــ(التناص).

ما هي بنية الأساليب اللغوية النسائية، وكيف تختلف عن بنية الأساليب الذكورية ؟ كيف يتعلم الأطفال اللغة القومية ؟ هل يتعلموها منطوقة أم مكتوبة؟ وكذلك استفاد الغرب من علم اللسانيات في قضية مهمة جدا وهي دراسة اللغة في مجال القضاء، لأعطيك مثالاً على ذلك:

لقد كلفت محكمة أمريكية اللساني الأمريكي روجر شاي بدراسة قضية شائكة لم يستطع المحلفون التوصل فيها إلى قرار، وبدأ بدراسة هذه القضية في المحاكم متناولاً الجانب المنطوق والجانب المكتوب منها، وقد توصل إلى حقائق صوتية ونحوية ودلالية واجتماعية ونفسية استطاع من خلالها المحلفون أن يتوصلوا إلى الحقيقة.

فإذن الاستفادة موجودة في الغرب سواء على المستوى النظـــري أم على المستوى التطبيقي ولا أريد أن أفصل في هذا المجال فقد كتبت فيه في أماكن مختلفة.

الآن يمكنك أن تسأل ما هو وضع اللسانيات في الوطن العربي ؟ اللسانيـــات في العالم العربي لها شأن مختلف تماما ويتلخص فيما يلي:

لم ينقل علم اللسانيات برمته من الغرب إلى العالم العربي نقلة علمية سليمة وصحيحة، وهذا له أسبابه. فالذين نقلوه إلى العالم العربي هم أصلا متخرجون من أقسام اللغات الأجنبية، لذلك فإن أغلبهم وضعه في إطار مهلهل، وضعيف، وغير علمي (شكلاً ومضموناً)، الأمر الذي جعله إشكالية بالنسبة للقارئ العربي.

وهذا الأمر شجع التراثيين لأن يكون لهم أنصار كثر من أجل النيل من هذا العلم ووصفه بأنه دسيسة أجنبية لا ينفع اللغة العربية على الإطلاق، ذلك لأنهم يعتقدون بأن الذي ينفع اللغة العربية هي النظريـــة اللغويـــة العربيـــة التراثية وحدها. دون العلم بأن هذه النظريـــة على الرغم من

إفادتها وشرعيتها، إلا أنها لا تستطيع أن تأخذ بالحسبان المعطيات الحديثة التي استحدثت في العصر الحديث (مثل الحاسوب، الجوانب التربوية، دراسة اللغة اجتماعيا، دراستها بيولوجيا، معالجة الأمراض اللغوية، دراسة اللغة عند الطفل العربي، معالجتها رياضياً...الخ).

الحقيقة ليس هناك حتى الآن - فكر عربي فلسفي ناضج يستطيع أن يعيد هيكلة النظرية اللغوية العربية التراثية، ومن ثم يستطيع أن يضع النظرية اللسانية الغربية الحديثة في إطار عربي واضح ومفهوم للقارئ العربي، من أجل أن يمهد لفكر عربي فلسفي حديث ونيِّر من أجل الخروج بنظرية لغوية حديثة تأخذ بالحسبان التراث اللغوي العربي وتأخذ بالنظرية اللسانية الحديثة وذلك لمعالجة المعطيات العربية المستجدة.

فلا النظرية اللغوية العربية التراثية قادرة على معالجة هذه المعطيات الحديثة، ولا النظرية اللسانية الجديدة قادرة على استيعاب ما كان قد فعله العرب القدماء، والنتيجة أن الدرس اللغوي العربي القديم والحديث يعاني من أزمة معرفية (ابستمولوجية) لا يمكن أن تعالج الواقع العربي الراهن.

هناك بعض المحاولات القليلة والنادرة جدا في الوطن العربي تحاول منفردة أن تملأ هذه الفجوة العلمية وأذكر على سبيل المثال العالم المصري الدكتور سعد مصلوح والعالم الجزائري الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، فالباحث الحاج صالح يعد ظاهرة فريدة من نوعها في الوطن العربي؛ لأنه تتلمذ حتى مرحلة الدكتوراة في جامعة الأزهر، فهضم وفهم النظرية اللغوية التراثية القديمة، وبعدها ذهب إلى جامعة باريس فتتلمذ على أساتذتها في موضوع اللسانيات الحديثة، فهضمها وفهمها على نحو دقيق جداً، وبذلك استطاع أن يعالج بعض القضايا اللغوية العربية المعاصرة ذات الإشكاليات المعرفية.

والواقع ينبغي أن نسعى إلى تحقيق نظرية لسـانية عربية حديثة انطلاقاً من الحقيقة السابقة.

فإذا أردنا لهذه النظرية أن تكون في الواقع وتعالج المعطيات العربية الحديثة فلا بد من العمل الجماعي، ولا بد من المؤسسات الرسمية ولا بد من المعاهد المتخصصة في هذا الشأن، وأستطيع أن أقول دون مجاملة إن الخطوة الأولى التي تسير في الاتجاه السليم للوصول لهذا الهدف بدأت في المملكة العربية السعودية من خلال إنشاء ما يسمى "كلية الأمير سلطان الأهلية" حيث تم إنشاء ثلاثة أقسام متجانسة:

الأولى: يسمى بقسم اللسانيات التطبيقية (التربوية).

الثانية: يسمى بقسم اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية (معالجة العربية ولغات أخرى حاسوبياً.

الثالثة: يسمى قسم الترجمة (من العربية وإليها)

النتيجة: لكي نتوصل إلى هذا الهدف لا بد من الدعم المادي السخي والدعم االسياسي الحكومي.

خ - أ: ولكن ماذا عن بعض الأكاديميين العرب المتخصصين بعلم اللغة من أمثال تمام حسان وعبد الصبور شاهين وغيرهما ؟

م - و: للحقيقة والتاريخ يبدو لي -وقد أكون مخطئاً- أن عمل هؤلاء وغيرهم هو عمل تنويري ليس إلاّ، فليس من مهمة العالم أن يكشف الظاهرة الفيزيائية فحسب، ولكن من مهمته أيضا أن يعالج هذه الظاهرة الفيزيائية، ويربطها مع الظواهر الأخرى في هذا الكون من أجل معرفة كيف تعمل هذه الظاهرة ضمن سياق الظواهر الأخرى.

إذن القضية ليست قضية كشف ظاهرة لغوية ودراستها، وإنما القضية هي أن تربط هذه الظاهرة بمنظومة نسقية كبيرة جدا في هذا الكون. وهذا ما حققه العالم عبد الرحمن الحاج صالح في مراحل البحث الأولى المتواضعة.

وهناك قضية أخرى مهمة جدا، وهي أنني كباحث أشعر بأنه ليس هناك مفـكر عربي معاصر حتى الآن استطاع أن يفهم هذا التراث اللغوي العربي القديم و المتميز؛ لأنه بحاجة إلى تشخيص عميق جدا و بحاجة إلى معرفة القاعدة الفلسفية التي انطلق القدماء منها لتحليل الظاهرة اللغوية.

فنظرية سيبويه النحوية مثلا تحتاج إلى قراءة واعية وهضم وفهم يستند إلى أسس علمية راسخة من أجل إعادة هيكلتها، ومقارنتها مثلا بنظرية النحو العالمي لتشومسكي، فقد توصل الباحثون السائرون في هذا الاتجاه إلى حقيقة مفادها أن الرؤية الفكرية الثاقبة التي انطلق منها سيبويه تشبه الرؤية الفكرية والعلمية التي انطلق منها تشومسكي، ولكن الفرق بين الاثنين هو فرق في العصر وفرق في المعطيات الحديثة. ما أسسه سيبويه لا يستطيع أن يتعامل مع المعطيات الحديثة الآن، ولكن الذي وضعه تشومسكي يعالج المعطيات الحديثة التي هي عملية وتكنولوجية.

النتيجة: إذا أردنا علما نافعا لمعالجة الظواهر العربية لا بد أن يكون هناك علماء حقيقيون بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وأن يحقق العالم العربي مقولة كان يقولها علماؤنا العرب القدامى وهي: "**ما نمت وما قمت إلاّ وعلى صدري الكتاب**". وهذا ما يحققه بالضبط رهان الولايات المتحدة وعلمائها في جامعة مثل جامعة جورج تاون ومعهد مثل معهد ماستشوستس للتكنولوجيا (MIT).

مازن الوعر في سطور...

* أستاذ اللسانيات في جامعة أم القرى قسم الدراسات العليا - كلية اللغة العربية (معار حاليا).
* أستاذ اللسانيات في جامعة دمشق.
* عضو اتحاد الكتاب العرب - دمشق.
* خريج جامعة جورج تاون في واشنطن العاصمة - الولايات المتحدة (Ph. D Linguistics)
* عضو الجمعية العلمية المعلوماتية السورية.
* الاختصاص الدقيق: النحو والدلالة ومعالجتهما في الحاسوب.
* الاختصاص العام: اللسانيات الحديثة.
* له ستة مؤلفات في اللسانيات الحديثة هي:

1. دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دمشق: دار المتنبي للطباعة والنشر، 2001م.
2. جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، (مصر: لونجمان)، 1999م.
3. دراسات لسانية تطبيقية، دمشق: دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، 1989م.
4. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1988م.
5. نحو نظرية لسانية عربية حديثة بـ (العربية والانجليزية)، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،1987م.

* له عدد من المقالات المنشورة في الدوريات العربية والعالمية.
* حضر مؤتمرات وندوات عدة في اللسانيات النظرية والتطبيقية.
*درَّس في جامعات عربية وعالمية منها:

1. جامعة دمشق.
2. جامعة حلب.
3. جامعة حمص.
4. جامعة البحرين.
5. جامعة وهران.
6. مركز اللغة العربية والثقافة الإسلامية في كوالا لامبور - ماليزيا.
7. والآن يدرس في جامعة أم القرى.

Résumé

Dans cet interview avec Mazin al-Wa'er, professeur en linguistique contemporaine à l'université d'Oum El Kora:

- La modernité d'Adonis est anarchique parce qu'il n'a plongé ni dans les profondeurs du patrimoine arabe ni celles du patrimoine mondial.
- Mahmoud Darwich est un cas unique dans le monde arabe et ce qu'il a présenté se hisse au niveau du concept du poème arabe par son contenu et non par sa forme.
- Les oeuvres de Nazar Kabani sont un héritage partagé par tous les arabes; Kabani n'a pas puisé la modernité du néant, ni des valeurs modernistes occidentales dénuées de leurs contenus.
- Dans le monde arabe, la modernité est anarchique, parce qu'elle vient du néant et n'a pas pris en considération l'apport des arabes des premières générations, ni celui des autres civilisations mondiales.
- Les fondateurs de la poésie dite aš-ši'r at-taf'īlī ont pris des awazān d'al-Khalil ce qui convient à leurs modestes aptitudes et ils ont nommé « poésie libre » leur propre perception de la réalité par le jeu de la langue.
- Nous ne refusons pas le poème prosaïque, cependant nous ne le considérons pas comme poésie ou poème mais seulement un discours littéraire qui illustre la réalité par un simple jeu de mots et non par les nuances de la poésie.
- Il est nécessaire de recourir à des outils scientifiques disponibles en sciences naturelles pour qu'ils deviennent un tout indissociable de la méthode scientifique pour l'étude de la langue.

Abstract

In an interview with Professor Mazin al al-Wa'er, a contemporary teacher of linguistics at the university of Oum El Kora:

- Adonis's modernity is anarchic. He did not go neither in the depths of the arabic inheritage nor in the universal one.
- Mahmoud Darwich is a particular case in the Arab world. What he presented rises to the level of the arabic poem concept by its contents and not by its form.
- The works of Nazar Kabani are a heritage which belongs to all the Arabs; Kabani did neither draw the modernity of nothing, nor did he of the Western modernistic values stripped of their contents.
- In the Arab world, modernity is anarchic, because it came from nothing and did not take into account neither the contribution of its precursors, nor that of the other civilizations.
- The founders of the poetry known as aš-ši'r at-taf'īlī took from Al khalil's awzān what is appropriate for their modest aptitudes, and they named their own perception of reality "free poetry".
- We do not refuse the prosaic poem, however we do not consider it as poetry or poem but only as a literary speech, which illustrates reality by a simple pun and not by the slight differences of poetry.
- It is necessary to resort to scientific tools available in natural sciences so that they become an indissociable whole of the scientific method for the study of language.